العدد 1743 - السنة السادسة
الجمعة 17 صفر 1435 - الموافق 20 ديسمبر 2013
Friday 20 December 2013 - No.1743 - 6th Year

عبد العزيز السعدي .. بين الخوف والشفقة !!

- في هذه المقطوعة يطغى هاجس الخوف من المستقبل
- جاء كجلد للذات ومحاسبة للنفس
- هـذا الهاجس المواكب للموت جعله يفقد متعة الإحساس
- يطغى هاجس الخوف من المستقبل على تحفيز شعور الشفقة
- الحـزن فجّر في وجدانـه ثنائية الخوف الشفقة

محمد مهاوش الظفيري

عبدالعزيز السعدي

النص : (رماد أحلام)

شـفـني رمـاد أحـلام وحـشـة مشاوير
و أطـرق عـلى شـبـاك لـيـلي غـيابك
و أكـسـر قـنـاديـلي كـذا دون تقصير
يـامـا أنكـسر حظي عـلى أعـتـاب بابك
أهـديـت نـبضك مـن جـنـوني تـعابير
تـتـلحـف بـشـعـري و تـلـحـق سـرابك
و أهـديـت عـودك في جـفـافه عصافير
تـسـترخي بـحـضـنـذه و تحضن عذابك
عـودتـني و الـصـبـح في دربـي يسير
أسـرح و أصـافـح في زحـامـي ضبابك
و علـقـتـني بـجـنـاح حـلـمك و لا أطير
و عـلـمـتـني أسـري سـكـيك أغـتـرابك
مـرت سـنـة أسـقـي شـمـوعـي مـعـاذير
و أنـا انـتـظـر هـالـوقـت يـجـمـع سـحـابك
مـاتـت شـواطـي دنـيـتـي و الـنـوافـير
و مـات الـكـلام بـشـفـتـي لا حـكـى بك
هـذي المـرايـا تـذبـح الـحـلـم و تـغـير
و ذيـك الـشـوارع خـالـيـة مـن صـحـابك
و هـذا الحـزن مـن غـيـبـتـك لـي طـوابـير
و هـذا المـسـا مـكـسـور مـا قـد ضـوى بك
شـف صـدري الـلـي ضـيـقـتـه الأزاريـر
مـا فـكـهـا حـلـم عـلـى الـلـيـل جـابـك
وشـوف أول أحـلامـي مـسـافـات و أسـيرً
و شـفـني عـطـر يـحـلـم يـعـانـق ثـيـابـك
و شـفـني مـواويـل الـوجـع رحـلـة الـطـير
و شـفـني شـجـر مـات بـخـنـاجـر تـرابـك
و شـفـني ظـمـا مـطـرود مـن رحـمـة البـير
كـلـمـا سـألـنـي غـاب فـيـنـي جـوابـك
هـذي سـنـة و الحـال مـا عـاد بـه خير
شـفـهـا شـمـوعـي تـنـطـفـي مـن غـيـابـك

توطئة :

بعيدًا عن العبارات الشعرية الجاهزة كنص مفعم بالحزن ، أو قصيدة تضج بالأس وتنوشح الكآبة .

فمثل هذه العبارات الفضفاضة تضر بالنص الشعري الجيد ، أكثر مما تنفعه ، مع يقيني التام والجازم أنها تؤثر في نفسية الشاعر ، لكن تأثيرها آني ، سرعان ما تزول آثاره من النفس ، لاسيما لدى أنصاف المثقفين من الشعراء والمهتمين في هذا المجال . أما القراء المتمكنون للنصوص ، فلا يرضيهم إلا استكشاف النص ، والسفر بين خباياه للوصول للجمال الفني المأمول ونحن في هذا النص الذي يحمل عنوان " رماد أحلام " للشاعر العُماني عبد العزيز السعدي ، سنحاول قراءة ما وراء النص من أجل الوقوف على ما يحمله من كنوز جمالية ومعان إنسانية إن مثيلات هذا النص بحاجة إلى لغة أخرى ، وبحاجة إلى تفكير وتأمل لاستكشاف البعد الجمال والعمق النفسي والفلسفي فيها ، لهذا لا بد من كتابات جادة ، لا تتناغم معها شعوريًا ، بقدر ما تسمو بها ، وذلك من خلال علاقة الإنسان بالإنسان ، وموقف الشاعر من القصيدة ، ونظرته الخاصة إلى الحب ، باعتباره مشروع حياة .

القراءة :

شـفـني رمـاد أحـلام وحـشـة مشاوير
و أطـرق عـلى شـبـاك لـيـلي غـيابك
و أكـسـر قـنـاديـلي كـذا دون تقصير
يـامـا أنكـسر حظي عـلى أعـتـاب بابك

في هذا الاستهلال يتوجه الخطاب من الشاعر إلى المحبوب ، والذي من الممكن أن يكون إنسانًا أو قصيدة ، وهذا على سبيل العموم لا التخصيص ، أي أن هذه الحالة غير ممكنة مع هذا النص ، الذي تدور حلقاته حول مسألة علاقة إنسانية بين طرفين . لأن مثل هذا حقيقة لا يضيف للمتلقي أي قيمة فنية ، بل الذي يريده المتلقي من أي نص شعري هذه الشحنات الحرارية الشعورية التي صورها لنا الشاعر في المقام الأول ، لأن دورنا ليس الكتابة التوثيقية لمواقف هذا الشاعر أو ذاك ، بل الكتابة لرسم وجه آخر للجمال عن طريق هذا النص . لهذا يسعى الشاعر إلى مدنا بهذه الصور الشعرية التي نثرها في هذا النص . تبدأ القصيدة بقولة " شفني " ، فهذه العبارة الشعرية سوف نتوقف عندنا كثيرًا فيما بعد . لقد بدأ الشاعر هذا الخطاب الشعري بهذه الكلمة ، وذلك من أجل شد انتباهه لما يريد قوله ، وذلك من أجل خلق الشفقة والخوف في روح المخاطب لكي يصغي لكلام الشاعر . فهو يتعامل مع هذه الثنائية المسرحية - كما هو في المسرح التراجيدي اليوناني القائم على عنصري الخوف والشفقة ، وهذا ما سنراه من خلال مسيرتنا في هذه الوقفة . فالشاعر هنا حاول جذب المحبوب والمتلقي إليه ، وشد الأنظار والأذهان لِما ينوي التصريح به ، وهذا ما سنراه في هذه القصيدة

أهـديـت نـبضك مـن جـنـوني تـعابي
تـتـلحـف بـشـعـري وتـلـحـق سـرابك
و أهـديـت عـودك في جـفـافه عصافير
تـسـترخي بـحـضـنـه وتحـضـن عـذابك

هذه الثنائية الشعورية النابعة من حالة الاستفزاز العاطفي ، تدخل في هذه المشاهد ، وفي كثير من الأحيان تلتقي لدرجة التمازج ، لكن الملفت أن الشاعر لا تحركه عقدة الخوف من المقابل / المحبوب ، بقدر ما يحاول تحريك عنصر الشفقة فيه بالدرجة الأولى ، وهذا واضح من خلال اعتماده على بعض العبارات الشعرية الموحية بهذا السياق " أهديت " التي تكررت مرة في كل بيت ، وكذلك قولة " جنوني تعابير " ، وذلك من أجل فتح المجال للتخيل وإمكانية تصور الموقف الإنساني الخاص به ، وذلك أنه مستمر في إقناعه بالعودة وبضرورة اللقاء مرة أخرى " وتلحق سرابك - وتحضن عذابك " ، فهذان التعبيران يوحيان بالأسى وتحمل مرارة الحزن ، فالسراب طريق مليء بالمرارة ، والعذاب ألم لا يمكن تحمله ، فما بالنا إذا كان السراب " يُطرد " أي يتم الجري وراءه من أجل اللحاق به ، وما بالنا بالعذاب الذي " يثحضن " . فأي حياة ستكون ؟! ، ومن يستطيع تحمل ذلك ؟!

عـودتـني والـصـبـح في دربـي يسير
أسـرح وأصـافـح في زحـامـي ضبابك
و علـقـتـني بـجـنـاح حـلـمك ولا أطير
و عـلـمـتـني أسـري سـكـيك أغـتـرابك

مـرت سـنـة أسـقـي شـمـوعـي مـعـاذير
و أنـا انـتـظـر هـالـوقـت يـجـمـع سـحـابك
مـاتـت شـواطـي دنـيـتـي و الـنـوافـير
و مـات الـكـلام بـشـفـتـي لا حـكـى بك

في هذه المقطوعة يطغى هاجس الخوف من المستقبل على تحفيز شعور الشفقة في نفسية المحبوب تجاه الشاعر ، وذلك أن هذا المشهد المتواصل لا يرسم للشاعر الأمل باللقاء أو التواصل ، وكأنه جاء كجلد للذات ومحاسبة للنفس ، مع العلم أن تداعيات هذا الهاجس مسيطرة على الجو العام للنص ، لكنه بارز في هذا الكلام . فهو يتوجس من الضياع والشتات ، وخائف على هذا الحب من التلاشي ، لهذا كان استدعاء عنصر هذا التلاشي ، الموحية في آخر هذه الأبيات ، جاء كمحصلة نهائية لهذا التوجس ، فكل ما كان يقوله ، من ضياع للصبح المتمثل بالأمل في الحياة ، وعدم مقدرته على الطيران والتحليق في سماء حبه ، وهذا الطريق الطويل من الاغتراب " أسري سكيك اغترابك " ، وانتظاره الطويل والمرير على مدار سنة كاملة ، قد ماتت " شواطيه ونوافيره " واضمحل الكلام بين شفاهه . إن حضور مفردتين تشيران للماء ، وهما " شواطي - النوافير " دليل على سيطرة القحط الشعوري على عاطفة الشاعر ، لأن الماء كما هو معروف من علامات الخطب والعطاء ، ومؤشر على الحياة ، وما هذا الكلام إلا نتاج لهذا الشعور بالخوف ، لأن الخوف هو الذي حرّك فيه كل هذه المشاعر التي استفزت فيه هذا التوجس ، الذي تفرد هنا في هذا المقطوعة ، مع العلم أنه في أماكن أخرى من هذا النص ، يتمازج مع الإحساس بالشفقة ، أي أنه يتمازج مع محاولات الشاعر من استدرار عطف المحبوب للشفقة عليه . هذا الهاجس المواكب للموت ، الموت الإيحائي ، الناتج عن سيطرة القحط العاطفي على شعور الحب لديه ، جعله يفقد متعة الإحساس بجمال الصبح وروعة الحلم ، لأن في الحب صباح جديد وحلم لا يتمنى العاشقون أن يصحوا من إغفاءته الجميلة .

هـذي المـرايـا تـذبـح الـحـلـم و تـغـير
و ذيـك الـشـوارع خـالـيـة مـن صـحـابك
و هـذا الحـزن مـن غـيـبـتـك لـي طـوابـير
و هـذا المـسـا مـكـسـور مـا قـد ضـوى بك

وها هو يعود لمحاولة استدرار عطف المحبوب عليه ، عن طريق هذا الحضور الإشاري ، نسبة لأسماء الإشارة " هذي - ذيك - هذا - هذا " ، وذلك من أجل إشعاره بمدى الحميمية التي له في قلبه ، ومن أجل تحفيز لمخزون الذاكرة لديه ، لكي يتذكر الأيام الخوالي التي قضوها سويًا . غير أن الناظر لهذين البيتين يجد أن مخزون الذكريات لديه نوعان ، وهم حسي ومعنوي ، فالحسي مرتبط بالمرايا والشوارع ، والمخزون المعنوي مرتبط بالحزن والمساء ، فهو حينما ينظر للمرايا ، إنما يريد إستكشاف الغيب فيه ، وكذلك يريد النظر إلى ملامحه التي غيرها الفراق والغياب ، أما حينما يمشي في الشوارع ، فيجد أنها خالية منه ، أي أنها شوارع بلا قيمة ، وذلك أنها كانت تعيش فيه ومن أجله ، لهذا يرى أنها شوارع خالية من الحياة بسبب هذا الفراق . أما المخزون المعنوي ، فيتفجر عن طريق تحريض الذكرى في كيان الشاعر ، والملاحظ أن هذا المخزون المعنوي مرتبط بالأسى ، حيث أن الحزن له دلالة واضحة بهذا التوجه ، كما أن الليل ، أو " المسا " في تعبير الشاعر ، محرض على الذكريات وموحي بالشعور بالوحدة والإنعزال ، أي أن كلا المدلولين مرتبطان بالأسى ، وكذلك " المرايا - الشوارع " لهما ارتباط بهذا الفهم الإيحائي للحزن ، وهذا شيء طبيعي في هذه العملية ، فلولا الإحساس بالحزن والأسى ، ما تولد في كيان الشاعر الشعور بالخوف ، ولَما دفعه هذا الخوف ، لمحاولة استدرار جانب الشفقة في نفسية المحبوب ، فالشعور بالوحدة جلب له الذكريات ، والذكريات قادته للتأمل والحزن ، والحزن فجّر في وجدانه هذه الثنائية الشعورية : الخوف / الشفقة

شـف صـدري الـلـي ضـيـقـتـه الأزاريـر
مـا فـكـهـا حـلـم عـلـى الـلـيـل جـابـك
وشـوف أول أحـلامـي مـسـافـات و أسـيرً
و شـفـني عـطـر يـحـلـم يـعـانـق ثـيـابـك
و شـفـني مـواويـل الـوجـع رحـلـة الـطـير
و شـفـني شـجـر مـات بـخـنـاجـر تـرابـك
و شـفـني ظـمـا مـطـرود مـن رحـمـة البـير
كـلـمـا سـألـنـي غـاب فـيـنـي جـوابـك

لو حاولنا رصد الكلمات الموحية بتعلق الشاعر بالمحبوب لوجدناها كثيرة في هذا النص ، مثل " عودتني - علمتني - علقتني - أنتظر " ، لكنها تنحسر رغم أهميتها في هذا السياق أمام العبارة الشعرية المكثفة ، والتي جاءت مع المفردة " شفني " التي تكررت في هذا النص ، حتى كاد هذا التكرار أن يقتل الروح الشاعرية الساكنة فيه ، إلا أنها من جانب آخر تشير إلى مدى تعلق الشاعر بالمحبوب ، والتي كادت أن توصله لدرجة الهذيان الشعري المرتكز على كثافة هذا التكرار ، فهذا التوظيف الشعري لهذه الكلمة " شف - شوف - شفني " يتناغم من حيث الإحساس والتواصل مع الحالة مع أسماء الإشارة التي تطرقنا لها ، لأن التوظيف جعلنا نتخيل الشاعر وهو يتوسل المحبوب ، خوفًا من استمرار الضياع وطول مدة الغياب ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، من أجل إحداث روح الشفقة في نفسه عليه ، وهذا في تصوري ، هو جوهر الحب ، والشعور الصادق لعكس هذا الموقف الإنساني . فالحب القائم على التعامل النّدي مع المحبوب ليس حبًا ، لأن ثقافة التنازل مطلوبة في مثل هذه العلاقة ، وهي مأخوذة من الفهم الحقيقي للدين " فأعرض هذا وأعرض هذا ، وخيرهما الذي بدأ بالسلام " كما هو - ما معناه - في الحديث النبوي الشريف ، لأن العودة للأصول الروحانية في التعامل مطلوبة وملحة في هذا الجانب ، فمهما فعلنا أو قلنا ، فلن نبقى معزولين عن هذا النسق الديني بحال من الأحوال ، وهذا ما حاول الشاعر إبرازه في هذا المقطع ، وفي عموم القصيدة كذلك

هـذي سـنـة و الحـال مـا عـاد بـه خير
شـفـهـا شـمـوعـي تـنـطـفـي مـن غـيـابـك

يقول بدر شاكر السياب " إن موتيَ انتصار " ، وهذا يتناغم مع فكرة طائر الفينيق كما في القصص الأسطورية عند الشعوب القديمة ، أي أن في الموت حياة " والموت للشعراء عمرٌ ثان " كما يقول الشاعر العربي ، وفي انطفاء دموع الشاعر هنا محاولة لإعادة بعث جديد " شفها دموعي تنطفي في غيابك " ، فهذا الحضور للغياب لم يكن حضورًا من أجل توصيف حالة ، بقدر ما هو حضور من أجل إطالة عمر هذه العلاقة ، لا على المستوى الحسي الملموس عن طريق عودة المياه إلى مجاريها - كما يقال < بل من أجل أن يكون هذا الانطفاء روحًا متوثبة ، تشتعل كلما انطفأت إن محاولة العودة الخاطفة لأول بيت في هذا النص " شفني رماد أحلام " تأكيد لهذا الانسجام النفسي بين الخاتمة والمطلع ، وأن " رماد الأحلام " جاهزة للإشتعال مرة أخرى ، حالها كحال الدموع التي " تنطفي من غيابك " . لهذا يظل هذا النص ، وكأي نص جميل آخر ، مشروعًا للتخيل ، لا على سبيل كتابته ، بل على مستوى التعامل معه كقراءة أدبية تحاول تلمس بعض الجوانب الإشعاعية فيه ، من خلال تفكيكه ومن ثم إعادة لملمته من جديد ، رغبة بالوصول إلى العمق النفسي المنشود عن طريق هذه العملية.

محمد مهاوش الظفيري

شهـــر 7 !!

إلـ ..غيث الحربي

بامانه حرّ..
وانا جوفي خَلي ما طالته لسعه
عرقت كثير في دمّي
نزفت بْصيفي.. القاصي وبني عمّي
بامانه حرّ يا صوتي!!
حرقت إعتامي الصادي
شعلت أغصان صدري في مهب الريح
وانا ودي لو آنادي
رمد بعروقي الكادي
وباقي ترتجف شمعه!
بامانه حرّ..
وانا احرس كل غيمه ما لها رجعه
بْـ..شهر سبعه:
يجيك الداين المديون
وتتهافت عليك أسما.. تشيل عيون!
يجونك سمّ
يطوفك من خوال وعمّ
وتتحضر لعرس العالم.. وتنساك!
عْزوبي بخنجر أهل البيت للـ..قلعه!!

على مَرْتبْتك / المُربك من الأحلام
على مْرَتّبْكَ / تسْمر بك ضعاف أرحام!
بْـ..شهر سبعه..
أمانيك الصغيره تنتحر مُتعه!!
وتيبس باقي الأكواز
تحس بمصرع (البيدا) على (الأهواز) !
فـ شهر سبعه
ضربت بمسبحة ذكرك صميم الغيث..
ولكن ما انفتل شارب
ولا حتى انفرج باب السما.. موارَب!
فـ..شهر سبعه:
يهلّ الموت يا ما بكامل السمعه..
وتتمنى لو انك فاقد لسانك..
تقلْب السين (ثاء) فـ مفردة (تسمين) !!
يطيح المستحىَ وتحنّ لاوثانك
فـ..شهر سبعه
يناديمْك العطش ضعفك..
لو انك ليث!!
وانا يا غيث..
أمرّغ حضني بلوثة وحل جدّي

هنا حدّي..
وهنا بآخر مطاف الأرض لي باحه..
تسَوّر داخل الخاوي / خوا يدّي!!
فـ..شهر سبعه..
تلاطفني نسا الذكرى
فلانه جات
فلانه ما تمنتني سوى اللي مات!!
وانا يا غيث كلّي في شهر سبعه..
مجرّد مَدْكي في شقة المأساة!
أقوم الصبَحّ متوضّي
واردّ مْن الضحى المشؤوم بالصرعه!
ألا يا (غيث).. شفني واقف في طيحة أوتادي
تعاركني رمال الذكرياتً.. وبندقي فكره
غريب.. صانع أحلام.. مْتناغم.. فاقد بلادي
على تّيه السنين بنسلي الماجد.. وانا نَكْره!!
يناديني من أبعد تهلكه بالأرض.. ميلادي
ولا ادري مِن تقدّم.. هو صباي أو خاتمة بكره؟!
تخبْر: الكرسي المتطرّف (بلوبيك) يا حادي؟
ثقل وزنه من مْلاقىَ جناب الطاهر بذكره
وصلتك.. كل أبو دمي عطابة سدرة أجدادي

تحفّظت أخرج بثوب العزيز.. وجيت لك مكره
معي يا (غيث) للإتريك دمعة ليلي السادي
ابا اكسرها زجاجه للطريق اللي نسى سكره
أبي الليله تعزْف إني الأسير الحرّ فـ..عنادي
من الليله تعال أكتب لك اسمي.. صافي عَكْره!
خبا جمر المساري والنجوم تطيح بجّيادي
وراهنت بلظى حرّية المترمّد بوكره!!
يجوز إني .. قرابة عام .. ناسي الثار بحيادي
عشان الصلح يوصل.. لو سنين اجتاحني مَكْره
أنا يا (غيث) ما خانت يدي ساعات ميعادي
يجوز اللي طعن قلب الزمن يا (غيث).. هو شكره!
فـ..شهر 7
يبس عمري وانا حارس ضفاف الما
ثلاث عقود أدوّرني ولا القاني
على مْراية حياتي وجهي الأعمى
ومتى ناظرني العالم.. لقا ثاني!!

جمال الشقصي